السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

- الإمام الأكبر شيخ الأُزهَرِ، ورئيس مَجلِسِ حُكَمَاءِ المُسلِمين.
- العلماءُ الأجلَّاءُ ورثةُ الأنبياءِ في العالَمَينِ: العربيِّ والإسلاميِّ.
- السَّادةُ المحترمون مُمَثِّلُو الكنائسِ العالَمِيَّةِ.
- الإخوةُ والأشقاءُ مُمَثِّلُو الكنيسةِ الوطنيَّةِ القِبطيَّةِ.
- السَّادةُ الحُضور.

أودُّ في البدايةِ أن أُعَبِّرَ عن عميقِ شُكرِ جميعِ المِصريينَ للإمامِ الأكبرِ شيخِ الجامعِ الأَزهَرِ الدُّكتور/أحمد الطَّيِّب الَّذي صاغَ من هذا المؤتمرِ العظيمِ لنُصرَةِ قضيَّةِ القُدسِ قِلادةَ شَرَفٍ لمصرَ تُتَوِّجُ فخَارًا بأَزهَرِهَا الشَّرِيف، منبرٌ يَصدَحُ بالقولِ الحقِّ في وجهِ كُلِّ الطُّغاةِ وأدعياءِ الاستكبارِ، يرفضُ الافتئاتَ على حُقُوقِ العربِ والمُسلِمين والفلسطينيينَ، مسلمينَ ومسيحيينَ في دولةٍ فلسطينيَّةٍ مستقلَّةٍ عاصمتُها القُدس الشَّرقيَّة، ورِباطُ وحدَةٌ ومحبَّةٌ في الدَّاخلِ يجمعُ مُسلِمي مصرَ وأقباطِها في أسرةٍ واحدةٍ، نسيجُها الواحدُ التزامُ الجميعِ بحقوقِ المواطنَةِ، والوقوفُ سواسيَةٌ أمامَ القانونِ، ورسالةُ تَوَاصُلٍ وسلامٍ إلى كُلِّ أرجاءِ العالَمِ تُؤكِّدُ على وسطيَّةِ الإسلامِ وتسامحِهِ، وتنبذُ العُنفَ والإرهابَ: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" [الأنبياء: ١٠٧].

لعلَّ السُّؤالَ الخطيرَ الآن ماذا بعدُ؟ وما الَّذي ينتظرُنا؟ وقد ظهرَ واضحًا حجمُ التَّربُصِ الَّذي يتأبطُنا شرًّا في عمليةِ غدرٍ مُفَاجِئ بعدَ قرارِ الرَّئيسِ الأمريكيِّ (تِرَامب) الأُحادي الجانبِ «الاعتِرَافُ بالقُدسِ عاصمةٌ أبديَّةٌ لإسرائيلَ»، وقد كنَّا نحسبُه شريكًا في الحربِ على الإرهابِ، ووسيطًا نزيهًا يمكنُ أن يحقِّقَ سلامَ الشَّرقِ الأوسطِ واستقرارِه، وينجزُ المصالحةَ التَّاريخيَّةَ بين العربَ واليهودَ على قاعدة: «كلُّ الأرضِ مقابلُ كلِّ السَّلام».

ثُمَّ ظهرَ أنَّ ذلك كان مجردَ أضغاثِ أحلامٍ، سَبَقَهَا ربيعٌ كاذبٌ، ضيَّعَ العراقَ وسوريا وليبيا واليمنَ، وكادَ يَنهَشُ مِصرَ المحروسةَ لولا عِنايةُ اللهِ، ويقظةُ شعبِّها وقُوَّاتِه المُسلَحَةِ الَّتي استنقذَت مِصرَ في الوقتِ الصَّحيحِ، ومع الأسفِ لم تضع في حسابِها أنَّ خُيوطَ المؤامرةِ ما زالت مستمرةً.

مَاذَا بَعدُ؟ وقد أُعيدَ صَبغُنا عبرَ سبعين عامًا من الدَّورانِ في حَلقةٍ مُفرَغَةٍ آملينَ أن يَقدِرَ المُجتمعُ الدَّوليُّ على فرضِ القانونِ الدَّوليِّ من خلالِ

مؤسساتِهِ الدَّوليَّةِ: مَجلس الأمنِ، والجمعية العامَّة اللذين أصدرا كَمَا قالَ الرَّئيسُ/محمود عباس بالأمس منذُ عامِ ١٩٤٧م ٨٦٧ قرارًا للمجلسِ و٧٨٦ قرارًا للمجلس، و ٧٠٠ قرارٍ للجمعيةِ العامِّة حتَّى الآن لم يُنَفَّذ منها قرارٌ واحدٌ، بما يُؤَكِّدُ حجمَ الخِدَاعِ الضَّخمِ والديموقراطيةِ الزَّائفةِ في مجتمعنِا الدَّوليِّ الَّذي تكادُ تكونُ مهمتُه الآن أن يُغَلِّفَ شريعةَ الغابِ بورقٍ من السُّلوفان؛ ليتمكَّنَ السَّمَكُ الكبيرُ أن يأكلَ السَّمكَ الصَّغيرَ في سهولةٍ ويسرٍ.

الإخوةُ والأخواتُ:

جربنَا التَّفاوضَ المباشرَ لأكثرِ من أربعةٍ وأربعين عامًا لم نتمكَّن خلالَها من استعادةِ بُوصةٍ واحدةٍ من الأرضِ؛ لأنَّ التَّفاوضَ المُباشِرَ في غِيابِ حكمٍ مُنصِفٍ، وقانونٍ دوليٍّ نافذٍ، ومرجعيةٍ قادرةٍ على تصحيحِ الخطأ يكادُ يكونُ نوعًا من الضَّحكِ على الذُّقونِ، هدفُه الأوَّلُ تضييعُ الوقتِ، وتبديدُ الفُرصِ، وتمكينُ القوي مِن أن يَخلُقَ واقعًا جديدًا يَفرِضُ نفسَه على الأرضِ، وحتَّى عندما نرضي بالقليلِ، ونقبلُ بـ ٢٢% من مساحةِ فلسطينَ التَّاريخيةِ فقط لا نستطيعُ أن ننالَ بعضًا من حقوقِنا، لا أملَ في أن نستعيدَ بعضَ حقِّنا إلا إذا كُنَّا قادرينَ على تصحيحِ النِّظَامِ الدَّوليِّ، وتغييرِهِ بالكاملِ؛ ليُصبِحَ عالَمًا مُتعددَ الأقطابِ، لا مجالَ فيه لقُطبٍ واحدٍ، وَحدَهُ صَاحِب الحقِّ والقرارِ، ولا مكانَ فيه للفيتو يصادِرُ على حقوقِ الجميعِ، ولا مكانَ فيه لقوَّةِ القَهرِ النَّووي أو غيرِ النووي، نعرفُ جميعًا أنَّ ذلك اليومَ آتٍ لا ريبَ في ذلك، لكن متَّى يأتي؟ وهل يمكنُ لأحدٍ أن يتعجَّلَه؟ وهل نظلُّ أبدًا في حالةِ انتظارٍ؟ أسئلةٌ صعبةٌ بغيرِ إجاباتٍ واضحةٍ، أين إذن؟ ومتَّى إذن تكونُ الإجابةُ الصَّحيحةُ؟ وهل هي موجودةٌ بالفعلِ؟

ربما لا تكون الإجابةُ موجودةً في واقعِنا الرَّاهنُ، لكنَّا باليقينِ نستطيعُ أن نَصنَعَهَا، ولا أحدَ غيرنا يستطيعُ صنعَها؛ لأنَّها كامنةٌ داخِل إرادتِنا، وأوّلُ شروطِ معرفتِهَا الصَّحيحة أن نكونَ كما قالَ الشَّيخُ الجليلُ الدُّكتور/أحمد الطَّيِّب على يقينٍ من أنَّ كلَّ احتلالٍ إلى زوالٍ، وكُلَّ قُوَّةٍ مُتَسَلِّطَةٍ غَشُومٍ لا بُدَّ لها من نهايةٍ، وإذا كان الاحتلالُ قد انقرضَ من العالَمِ أجمعَ منذُ زمنٍ، ولم يبقَ سِوى الاحتلالِ الإسرائيليِّ للأراضي الفلسطينية، فانَّ الاحتلالَ الإسرائيليّ يظلُّ، ومهما طالَ الزَّمنُ حدثًا عابرًا كما قالَ الشَّاعرُ الفلسطيني/محمود درويش، وسوفَ ينتهي، وسوف يَحمِلُ عصاهُ على كتفِهِ، وسوفَ يَرحَلُ كما رَحَلَ الاستعمارُ الفرنسي عن شمالِ أفريقيا وشرقِ

المتوسطِ، وكما رَحَلَ الاستعمارُ البريطاني عن الشَّرقِ الأوسطِ، ولن يبقى على الاحتلالِ الإسرائيليِّ هذا الثَّوبُ القديمُ المُهَلهَلُ من الخرافاتِ والخزعبلاتِ.

ومِن ثَمَّ..فانَّ المُهمَّةَ المُقَدَّسَةَ لنا أن لا نَفزَعَ مثلَ فزعِ جيلِ النَّكبةِ، غادرَ أراضيه خوفًا من عصاباتِ اليهودِ، وإنَّما أن نَصمُدَ في أوطانِنا، ونتشبث بأراضِينَا، دُونَهَا الموتُ أو الشَّهادةُ، وفي القُدسِ ٣٤٠ ألف فلسطيني يتحتمُ صمودُهم، وسوف يَصمُدونَ؛ لأنَّهم مُنزَرِعُونَ في أرضِهم، يَصعُبُ اقتلاعُهم، وحتَّى لو اقتلعُوا أُسرةً، أو بِضعَ أُسرٍ، فإنَّ علينا أن نجعلَ ذلك عملًا مُستحيلًا، لا ينبغي إخلاءُ القُدسِ القديمةِ منَ السُّكَّانِ كما أخلينا الخليلَ.

لقد ذهبتُ إلى الخليلِ، ووجدتُ المدينةَ القديمةَ فارغةً على عُرُوشِها تنتظرُ المستوطنين اليهودَ، فُرِّغَت المدينةُ من سُكَّانِها الأصليين الفلسطينيين هربًا من عملياتِ التَّفتيشِ اليوميِّ للمنازلِ، وغاراتِ الأمنِ الإسرائيلي، ومطالبِهِ المستحيلة في أن تبقى كُلُّ أبوابِ البُيوتِ والمنازلِ مفتوحةً دائمًا جاهزة لتفتيشِ الأمنِ الإسرائيلي.

واجبُنا كعربٍ ومسلمين أن نُعَزِّزَ صُمُودَ القُدسِ، وأن نُعَزِّزَ صُمُودَ المَقدِسيين، وأن نساعدَهم كي يَبقَوا في مدينتِهم لا يغادرنَها، وأن نُذهِبَ غَيلَهُم لا نتركهم وَحدَهم. البعضُ يرى أنَّ في ذلك مخاوفَ عديدةً، ورُبَّما نَعَم، ورُبَّما لا، لو كان الأمرُ النَّهائي ينبغي أن يكونَ للفلسطينيين في القُدس، وليس لصوتٍ على أيِّ مِنبَرٍ، لو أنَّنا نجحنَا في تعزيزِ صُمودِ المَقدِسيين لكان ذلك بدايةَ نجاحٍ حقيقيٍّ؛ لأنَّ صمودَهم سوف يبقى على الجَذوَةِ المشتعلةِ لا تهدأُ أجيالٌ تتبعُ أجيالًا تحمي القُدسَ، حتَّى إن لم تكن في أيديهم سِوى حجارةِ الشَّارع.

ولستُ أشكُّ في أنه مهما تكن تحوطاتُ الإسرائيليين وحصارُهم للفلسطينيين فانَّ الشَّعبَ الفلسطيني- كما ثبتَ لنا جميعا- قادر على أن يَخلُقَ أنماطًا وصورًا جديدةً من المقاومةِ الشَّعبية، وقد فعلَها بالفعلِ، وقادرٌ على أن يَخلُقَ أنماطَ العصيانِ المدني الَّذي تنأى بنفسِها عن الإرهابِ، ولكنَّ ثقتَنا ينبغي أن تكونَ كاملةً في أنَّ الضميرَ الإنساني سوف ينتصرُ للقضيةِ كما انتصرَ لها سابقًا؛ لأنَّ عظمةَ الصُّمودِ أصبحت عنوانًا على الشَّعبِ الفلسطيني، ولا تزالُ إسرائيلُ تعاني من المقاطعةِ الأوربيةِ للجامعاتِ الإسرائيليةِ، ومقاطعةِ بضائعِ المستوطناتِ، وإنتاجِها في الأراضي المحتلَّة الَّتي تزدادُ وتيرتُها شِدَّةً

واتساعًا بعد قرار (ترامب) الَّذي رفضتهُ كُلُّ الدُّولِ الأوربيةِ، ورفضه العالَمُ أجمعُ، ومن المُؤكَّدِ أنَّ دولةً فلسطينية عاصمتُها القُدسُ.
ماذا بعدُ؟ وقد عِيل صبرُنَا، جرَّبنَا التَّفاوضَ المباشرَ، ولم يحدث شيءٌ، هل نبقي في حالة انتظارٍ أم أنَّ علينا أن نُعَزِّزَ صمودَ الشَّعبِ الفلسطيني إلى أن تقوى قدرتُنا على أنْ يكونَ خيارُنا الحربَ أو السَّلام؟، خيارُنا الرَّاهن مع الأسفِ لا يحملُ الحربَ، خيارُنا الرَّاهن أن نتواصلَ مع المجتمع الدَّوليِّ، وأن نثقَ في أنَّنا سوف نستمرُ، وأن نَصمُدَ فوقَ هذه الأرضِ، وأن نساعِدَ الفلسطينيين على الجميعِ.
والأهمُّ من ذلك كلِّه -لأنَّه مؤجلٌ بالطبيعة- أن نحفظَ وَحدَةَ الشَّعبِ الفلسطيني، وأن ينتصرَ الفلسطينيون لضرورة أنَّ تتلاحمَ حَمَاس وفَتح؛ لأنَّ الانقسامَ الجغرافي والعقائدي أضرَّ ضررًا فادحًا بكفاحِ الفلسطينيين النَّبيلِ، وشَكل الجانب السلبيّ من صورتِهم الإعلامية، وأكادُ أقولُ: إنَّ البندقيةَ الفلسطينية التي استخدمتها الأطرافُ الفلسطينية المتصارعة والمنقسمة على نفسها فقدت مع الأسف الكثيرَ من مصداقيتِها عندما قتلَ الفلسطيني أخاه صِراعًا على السُّلطة، أو خِلافًا على الأيدلوجية.
إنَّ أقصرَ الطرقِ إلى تحقيقِ حُلمِ الفلسطينيين بدولةٍ مستقلةٍ هو أن ننجحَ كعربٍ في أن نوحِّدَ الفلسطينيين في أن يلتئمَ شملُ حماس وفتح؛ لأنَّنا لا نستطيعُ أن نحاربَ وسط هذه الانقسامات.
الإخوةُ والأخواتُ:
أعتذِرُ لهذه الصَّراحةِ الَّتي رُبَّما يراها البعضُ استسلامًا وخُنوعًا، هي ليست استسلامًا وخُنوعًا، هي ما تملِكُ إرادتنا التي ينبغي أن نحافظَ عليها ما دمنا واثقينَ من قدرتنا على تحقيقِ النَّصر.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته